رسالة إلى أم المؤمنين عائشة*

أمَّـــاهُ أمَّـــاه دمع العين ســـيَّـــالُ
وخـــاطري في دروب الحـــزنِ رحَّـــال

أمَّـــاه أمَّـــاه مـــا زالت تـؤرِّقني
همـومُ عـصـري ففـي الأعـمـاق زلزالُ

قـصـائدي لم تـزلْ تجـري على نَسَقٍ
من الوفـــاءِ لأســـلافي ومـــا نالوا

وفـــاءَ مَنْ في حنايا قلبـــه أملٌ
عَـــذْبٌ وفي نفـســـه للحقِّ إجـــلالُ

بـيـنـي وبـيـنـك آكـــــامٌ وأوديـةٌ
مـــن الـــدهـــور، وآثـــارٌ وأطـــلالُ

وبيننا جـســـرُ إيمانٍ عَـبَـرتُ به
وفي الطريق مـــفـــازاتٌ وأهوالُ

---

* الرياض ـ الازدهار: ١٤١١هـ.

أتيت أقــرأ أمــجــادي، أعــبــّر عن

نفــسي، ولي في بلوغ القــصــد آمــالُ

أتيت أحــمل مــأســاتي على كــتــفي

وفي يدي قلمٌ بالحبِّ سَــيَّـال

أمــاه أمــاه أخــبــاري منوَّعــةٌ

ولــلحــكايات عــند الــنــاس أشكالُ

في عــصــرنا لجّــةُ الأحــداث مــائجــةٌ

ومــا لنا زورقٌ في البــحــر جَــوّالُ

وأمَّــةُ الحقِّ في أوطانهــا اشــتــعلتْ

نار الخــلافِ، وأهل البــاطل احــتــالوا

أيا حليلةَ خــيــر الناس، أمــتنا

تمشي وفي صدرها المكشوف سَلسالُ

تمشي وفي يدها البــيــضــاءِ أســورةٌ

تمشي وفي رجلها البــيــضــاءِ خلخالُ

تبــرَّجتْ أمــتي للعــابثين بهــا

وغــرَّهــا من فم التنّين مــوّالُ

لو أنَّها احتشمتْ ما ذاب في فمها
صوتُ الإباءِ، ولا أعداؤها صالوا

الظالمون قِصَارٌ في حقيقتم
لكنَّهم بتغاضي أمتي طالوا

إذا تخلَّى كريمٌ عن مبادئه
فسوف يرتع في الأوطان أَنْذَالُ

أمَّاه أمَّاه ضاع العدل في زمنٍ
أدنى وسائله قيدٌ وأغلالُ

أياحليلةَ خير الناس، إنَّ بنا
داءَ السكوتِ على ما تقتضي الحالُ

تشكو موائدُنا أصنافَ ما حملتْ
من الطعام، ويشكو لهوَنا المالُ

أماه أماه، لو أبصرتِ مَنْ نَفَخوُا
أبواقَهم، في خداع الناس واحتالوا

ومَنْ أراقوا دماءَ الأبرياءِ بلا
ذنبٍ فكم قتلوا بالظنِّ واغتالوا

ولو رأيت طواويس الرجـــال وقـــد

شـدّوا مــآزرَهم بالوهم واختــالوا

ولو رأيتِ رجــالَ العلم كـيف غـدوا

لـمَّـا سـقَـتْـهم شـرابَ الغـفلةِ الدَّالُ

ولو رأيتِ نســـاءَ المسلمين وقـــد

بدا لـهنَّ على الأوهـام إِقـــبـــالُ

إذنْ، لعـــانيتِ يا أمَّـــاه من ألمٍ

وكـــان للدمع في عـــينيكِ شـــلاَّلُ

أمَّـاه، قـولي لمن باعتْ كـرامـتَـهـا

وصـــدَّها عن دروب الخـيـــر طبَّـالُ

قـــولي لمن جـــعلتْ أزياءَها هدفـــاً

ومن دعـاها إلى التـحـــرير دجَّـالُ

أهكذا تركـــــبين الموج حـــــائرةً

ويســـتـــبـــيـــحك بالأهواءِ أَنْذالُ؟

تنسين أنَّكِ لـلأجـيـــال مـــدرســـة

وكم تعـــزُّ بعـــزِّ الأمِّ أَجـيـــالُ؟!

أيا حليلةَ خـــيـــــر النـاس أمـــتُنا
لهـــا جـــواد من الإعـــلام صَـــهَّـــالُ

لهـــا ســـيـــوف من الأبواق قـــاطعـــةٌ
لهـــــا دروعٌ وأبـوابٌ وأقـــفـــــالُ

لهـــا شـعـــوبٌ تسـرُّ العينَ كـثـرتُهـا
فـي كـلِّ قُـطْـرٍ مـن الـسـكـان أرتـالُ

لهـــا رجـــالٌ لهم في القـــول ألسنةٌ
مِـــهْـــذَارةٌ، ولهم في البنك أمـــوالُ

ســلاحـهم في لقـاء الخـصم ممتـهَنٌ
لكنـه في لقـــاءِ الأهـل قَـــتَّـــالُ

باعوا فـما ربحوا، قـالوا فـما صـدقوا
وفـــوقَ هـذينِ إخـــضـــاعٌ وإذلالُ

أمَّـــاه أمـــاه أشـــجـــانا ذوو نسبٍ
فـــينا ولـكنهم عن ديننا مـــالوا

قلنا لهم خَـطَرٌ يا قـــوم يدهمكم
فـالسـيف منصلتٌ، والسَّـهْمُ نَبَّـالُ

ولـن تـروا مَـنْ يـكيل الـظُّـلْـمَ فـي زمـنٍ

إلا بمـا كـــــالَه لـلنـاس يكتـــــالُ

قـــالوا: رويداً فـــإنَّ الوهـم ينقـــصكم

القـول مـا قـال «جـوزيفٌ» و «مـيـشـالُ»

مـن أعلن الحقَّ ـ يـا أمَّـــاه ـ مـــتَّـــهمٌ

فـي عـــصـــرنـا، ودُعـــاةُ الزَّيفِ أبطـالُ

أيا حليلةَ خـيـــر الناس، قـــافـيـتي

يتـــيـــمـــةٌ مـــا لهـــا عَمٌّ ولا خـــالُ

أرسلتُـــهـــا وبنو قـــومي على جُـــرُفٍ

مـن الخـــلافـــاتِ مـــازالتْ ومـــا زالوا

أمَّـــاه قـــولي لنا، مـــاذا نقـــدِّم في

عـــصـــر أحـــاط به ضـــعفٌ وإخـــلالُ

تاهتْ مـــــراكـــــبُنا والموجُ ملتطمٌ

وفـي الشـــواطئ ـ يـا أمَّـــاه ـ أدغـــالُ

هنا رأيت خـيـــوطَ النور، أســـعـــدني

نسـيـجُـهـا، ولثـوب الفـجـر إسـبـالُ

تحدَّث الفجر، أنهار الضياء جرتْ
وللشعاع حكاياتٌ وأمثالُ

يا أيها المشتكي، عيناكَ منطقةٌ
للحزنِ فيها مسافاتٌ وأطوالُ

لا تنس أنَّ خُطا هذا الوجود، لها
في علم خالقِ هذا الكون آجالُ

نريد شيئًا، وننسى أنَّ خالقنا
لما يريد بهذا الكون فعَّالُ

obeikandl.com

رسالة إلى خالد بن الوليد «رضي الله عنه»

يازارعَ الهمّ في واحـــاتِ وجـــداني
ويا مـحـرّك دمـعي صَـوْبَ أجـفـاني
ويا مـــــوطِّئَ أكنافِ الفـــؤادِ، بما
منحـــتَــه من جنى إغـــرائك الدّاني
ويا مُـحـيْلَ رياض الحبّ مـــجـدبة
هلاّ غـــرسْتَ بهـــا باقـــاتِ ريحـــانِ؟
أراك تنكرني من حـــيث تعـــرفني
أراك تهـجـرني من حـيث تغـشـاني
أراك تخـفـضني من حـيث ترفـعني
أراك تبـغـضني من حـيث تهـواني
قلْ لي بربّك: كـيف اسطعت يا أملي
تُطيع مـا قـال حـسّـادي وتنســاني
وكـيف أغـضـيتَ عنّي مـقلة نظرتْ
إليّ بالأمسِ في شـــــوق وتحـنـانِ؟

---

* الرياض ـ الازدهار: ٢/٤/١٤٠٢هـ.

obeikandi.com

وكيف أغلقتَ عنّي مسمعاً شربَتْ
رياضه من ترانيمي وألحاني؟

وكيف سافرت في دَرْبِ التنكُّر، لا
رَعَيْتَ عهدي، ولا راعيتَ وجداني؟

*** *** ***

يا مَنْ تحقق أحلام الرّبيع إذا
غدا يفتّش في شوق عن البانِ

ومَنْ تُنيل فؤاد البدر رغبتَه
حتى يرى البدر في هندام إنسانِ

ومَنْ يرى الظبي فيها حُسْنَ مقلته
فيستعيذ لها من كل شيطانِ

يا روعةَ اللغة الفصحى، أقلّبها
على لساني بإفصاح وتبيانِ

أما تذوقينَ طعم الحرفِ أسكبُه
في كأس شعري على توقيع أوزاني

جرّدت سيفين من هجر ومن أرق
فكيف يسلم من يعلوه سيفانِ

قفي معي فوق أرض، لا يدنّسها
بغي، وما وطئتها رجْلُ خوّانِ

وصـافحـيني بكفّ الشوق رافعـة
رأسَ الوفـاء وخلّي عنك هجـراني

*** *** ***

خـذي يَدي، واصعـدي بي كلّ مـرتفَع
وكلّ رابيـة في سـفح[1] ظَبـيـانِ
فـسـوف تلقين لي في كل سـاقـيـة
ذكـرى، وتلقـينهـا في كل بسـتـانِ
ولا تهـزّي غـصـون اللّوز قـاسـيـة
فـعندها كنت ألقي كل أحـزاني
تجـرّ فـيـهـا الجـبـالُ الشُمّ أرديـة
من الزهـور على أكـتـاف وديانِ
وينسج الغـيمُ أثواباً وأكـسـيـة
تـشـي إلـيـكِ بـأعـطـاف وأردانِ
يستنكر الصيفُ فيها الحرّ متخذاً
من النسـيم مـزايا شـهـر نيسـانِ
يا نَبْـتَـة الحبّ في قلب، سـريرتُه
أصفى من الصّفْو لم تُمْزَجْ بأضغانِ

---

(١) المقصود سفح جبل بني ظبيان في قرية عراء منطقة الباحة، جنوب المملكة العربية السعودية.

أسـهَـرْتني وجـعلتِ الهمّ يسـرقني
من راحـتي، ومنَحْتِ الحـزنَ عنواني

أثَرْتِ بغـضـاء ليلى فـامطتي فـرساً
من طوله، وبسـيف السُّـهْـد أدمـاني

تصـافح النّجمَ عـيني والهـلالُ على
نعش الأفـولِ، وقلبي جِـدُّ وَلْهـانِ

كـأنني مـا شَـدوتُ الليل أغنيـة
سكبْتُ فـيـهـا أحـاسـيسي وأحـزاني

كـأنني مـا رأيتُ البـدر مـبـتـسـماً
ولا مَنحْتُ نجـوم الليل إذعـاني

ولا ركـبتُ جـواد الشـعـر منطلقـاً
وجـاعـلاً من سـواد الليل مـيـداني

*** *** ***

خـذي يدى وارحلي بي فـالدروبُ بهـا
شـوق إلى قـادم بالصـبـر مُـزْدَانِ

هنا .. أضـاءت سراجَ الحبّ وابتهـجتْ
وأصـبـحتْ بعـد طول الهـجـر تلقـاني

وأسـرجت لي جـواداً، فَـجْـرُ غُـرَّته
يضـيء لي درب أحـلامي ويغـشـاني

وسافرتْ بي إلى الماضي، فيا فرحي
بما رأيناه من روح وريحانِ
حتى إذا وَقفتْ بي فوق رابية
رجلي، وغرّد عصفور وحيّاني
رأيتُ سيفاً يهزّ السيفَ، مقلته
ترنو إلى أفُقَيْ خير وإحسانِ
ناديتُه ورياض الحبّ ضاحكة
وبيننا جسر أشواق وأشجانِ:
أبا سليمانَ.. ما ألغَيْتُ ذاكرتي
ولا أضعْتُ أمام الخطب ميزاني
مضيتُ نحوك والآلام ثائرة
أسير منها على أكتافِ بركانِ
أتيتُ أبحث عن ظلّ وساقية
وعن صديق يواسيني ويرعاني
أتيتُ أبحث عن ذكرى فمعذرة
إذا بَثَثْتُكَ ما يُخفيه وجداني
أبا سليمان.. عَيْنُ المجد ترمقُنا
بنظرة الخائف المستوحش العاني

على جـوادك مـدّ المجـدُ قـامـتَـه
وحَـدّ سـيـفك أدمى كل خـوّانِ

بين العـراق وبين الشـام خـارطة
رسـمتَـها بحـسام القـائد البـاني

وكنتَ رمـزَ الولاء الحـرّ، مـا لعـبْت
كفّاك ـ حين قضى القاضي ـ بنيرانِ

أبا سليـمـان.. فـينا من يخـدّرنا
بألف دَعْـوى ويرمـينا ببـهـتـانِ

يرى الجـهـادَ اعـتـداء والضـلال هدى
ويحـسب المجـدَ مـرهونا بطغـيـانِ

فينا الذين ارتموا في حضن مغتصب
فـمـا جنوا غـيـر تبكيت وخـسـرانِ

نغـزو فـضـاء الهـوى والليلُ مـتكئ
على أريكتـه، والجـرحُ جـرحـانِ

ونجلب الماء من بئـر مـعطّلة
ونطلب الخـبـز من تنّور جـوعـانِ

يفنى رنين القـوافي في حناجـرنا
كـأنما قـومُنا من غـيـر آذانِ

إن كـان فـي سـيـفك البـتّـار من رَهَق

فـاضـرب به رأس فـرعـون وهامـانِ

وابعث إلينا به، فـالقـوم قـد عـجـزوا

عن صـدّ باغ وعن إحـبـاط عـدوانِ

*** *** ***

هنا سـمـعتُ صـدى صـوت وحـمـحـمـة

وفـــارســـاً من وراء الأفْق نـاداني:

يا داعـيـاً وغـبـارُ الحـزن يحـجـبُـه

عني، نداؤك أرضـــاني وأشـــقـــاني

ســـــيـــــفي بـه رهـق لـكـنـه رهـق

في نُصـْرة الحق لا في نَصـْر طغـيـانِ

*** *** ***

والله لو صنعـــوا لي من مـــبـــادئهم

تاجـــاً يزيد به في الأرض سلطاني

لـما رضـــــيت لـدين الـلـه مـن بـدل

ولا منحت لغـــيـــر الله إذعـــاني

إني رحلت على درب اليـــقين ولم

أترك ســبـيـــلاً إلى قلبي لشـيطانِ

كسوتُ نفسي من الإيمان ثوب رضاً
به تساميتُ عن ظُلم وكفرانِ

فلتسأل البيدَ عن معنى الخضوع إذا
جعلتُها في سبيل الله ميداني

يشدو جوادي بألحانِ الصمود لها
فيُصبح الرّمْلُ فيها حبّ رمّانِ

وَلْتسأل السيف عن طعم الرقاب إذا
أفرغتُ في حدّه عزمي وإيماني

يُطيعني في سبيل اللّه أجعله
حدّا، ويعلن، خَوْفَ الظلم، عصياني

يستنكر الغمدُ سيفي حين تصبغه
عند النّزال دماء المعتدي الجاني

ما ردّدَ المجدُ في مسراه أغنية
الاّ وغنّى بها لحني وحيّاني

*** *** ***

أبا سليمان .. كفّ الشوق تعزفني
عزفاً ترددّه أفواه ألحاني

obeikandl.com

أسعى إلى الخير سعيَ المصلحينَ فما
ألـقـى مـن الـنـاس إلا كـل نـكـرانِ
كم صـاحب صـار في أحضـان رغبتـه
مـثلَ السـجين يناجي عَطْفَ سـجّـانِ
أسكنتـــه من فـــؤادي منزلاً وسطاً
وكنتُ أحـســبُـه من خـيـر أعـواني
حـــتى اذا دارت الأيّـامُ دورتهـــا
أحسستُ أني منحت الصخر إِحساني

*** *** ***

أبا سليـــمـــان .. قلبي لا يطاوعني
على تجـاهل أحــبــابي وإخـــواني
اذا اشـــتكى مـــسلم في الهند أرّقني
وإن بكى مـــسلم في الصين أبكاني
ومـصـر ريحـانتي والشـام نرجسـتي
وفـي الجـــزيرة تاريخي وعنواني
وفي العـــراق أكف المجـــد ترفـــعني
عن كل بـاغ ومـــأفـــون وخـــوّانِ

ويسمع اليمن المحبوب أغنيتي

فيستريح إلى شدوي وأوزاني

وينشُرُ المغرب الأقصى خمائلَه

فنلتقي منه في ظلٍّ وأغصان

ويسكن المسجد الأقصى وقبته

في حبة القلب أرعاه ويرعاني

أرى بخارى بلادي وهي نائية

وأستريح إلى ذكرى خراسانِ

شريعة الله لمَّت شملنا وبَنَتْ

لنا معالم إحسان وإيمانِ

*** *** ***

أبا سليمان .. خوفُ الناس أرخصني

عند العباد، وخوف الله أغلاني

تأمّل الجرح في قلبي فسوف ترى

خريطة القدس في جرحي ولبنانِ

وسوف تقرأ ما لا كنتَ تقرؤه

عن العراق وعن آيات إيرانِ

وسوف تعجب من إغضاء أمتنا
على تسلّط كوهين وكاهانِ
رأيتُها وسؤالٌ تاه في فمها
ما بين صمتٍ له معنى، وإعلانِ
تقول - والخوفُ يسري في أناملها
برداً، وفي فمها صكّات أسنانِ:
متى أرى هَرِماً يلوي عمامتَه
وينصف السّلم من عبس وذُبيانِ؟
متى تزيحون عني جَوْرَ مغتصب
أباحني، وبنار البغي أصلاني؟
إذا اغتنيتم ففي قارون قدوتكم
وإن زهدتم ففي حيّ بن يقظانِ
أما لكم منهج في دينكم وَسَط
به تعيشون في أمن وإيمانِ؟
ما لي أرى القوم حادوا عن مبادئهم
وصدّعوا بيد الأحقاد بنياني؟
ياليتهم خرجوا من ألف مؤتمر
ببعض ما كان في دار ابن جدعانِ

obeikandl.com

*** *** ***

أبا سليمان .. هَبْ أني بكيت، فمن
يلومني إنْ بكيتُ اليوم أوطاني؟

أجابني خالد: هوّن عليك ألم
تعلم بأنّ عباد الله صنفانِ؟

صنف يَعي كل ما يجري ويُلجمه
خوف، وصنف يُداري وجه حيرانِ

إذا تخلى الفتى عن صدق مبدئه
فلن ترى منه إلا كل خذلانِ

لن تكتبوا في سجلّ المجد سيرتكم
إلا على قبس من نور قرآنِ

obeikandl.com

رسالة إلى أحمد بن حنبل*

برقية شعرية من عصرنا إلى عصر الإمام

من أين أبدأ قـــولي، أيُّهـــا البطلُ
وأنت أبعـــد ممَّا تطلبُ الجُـــمَلُ؟
كل القـوافي التي استنفرتُهـا وقفت
مـبـهـورةً وبدا في وجـهـهـا الوَجَلُ
مـاذا تقـول؟ وصـرح العلم سـامـقـةٌ
أركـــانه، وبناءُ المجـــد مكتـــملُ
مـاذا تقـول قـوافي الشـعـر عن رجل
كلٌ يقـــــول لـه: هـذا هـو الـرجلُ
عهدي بشعـري عفيفَ الروح منطلقاً
واليـــوم يمشي وفي أهدابه خَـــجَلُ
مـاذا أصـابك يا شـعـري عـهـدتُك في
كلِّ المواقف، لـلإحـســـاس تمتـــثلُ
أنت القـــويُّ بمبناكَ الأصـيل فـــلا
تقف فـــمـــثلُكَ لا يُزرى به الكلَلُ

---

* الرياض: ٢/١٥ ـ ١٤١٠/٣/٢٦هـ.

يا سائلي عن رياض الشعر كيف غدت
تزهو، وصارت إليها تُضْرَبُ الإبلُ

عفواً فتُربَةُ شعري لا يُخالطها
طينُ الرياءِ، ولا تَشقَى بها المُثُلُ

أجريتُ في أرضها المحراثَ فابتهجَتْ
فروعها، وتدلَّتْ بينها الخُصَلُ

ما تاه شعري على درب الضلال ولم
يقف بباب، ولم يَسْتَهْوِهِ الغَزَلُ

شعري مدائن لحنٍ في حدائقها
ينمو الإباء، وينمو الخير والأملُ

حمَّلته بأحاسيس الفؤاد ولم
أجعله مَعْرِض أهواءٍ كما جعلوا

أجريته في ميادين اليقين فما
كبا، ولا ناله في سَعيه مَلَلُ

يا شعري الحرّ يا نبض الفؤاد أدرْ
دولاب فنّك حتى يخرس الزَجَلُ

أنت الجدير بتصوير البطولة في
حياة شهمٍ به الأمجادُ تحتَفلُ

شهمٌ؟ نعم أيها الشعر الأصيل وفي
عينيه عَزْمٌ به الأوصاف تكتملُ
إذا رمى بصراً في مجلس هدأت
ضوضاؤه واستقرَّ الناسُ واعتدلوا
يسير في هيبة الإيمان تحرسه
عنايةُ الله، لا جند ولا خَوَلُ
ما كان يأكل إلا الخبز مؤتدماً
بالخلِّ، وهو بجلد الضأن ينتعلُ
وليس في كفِّه سيف يُذلُّ به
مَنْ لا يطيع، ولا في ثوبه بَلَلُ
لكنها طاعة الرحمن عزَّ بها
عزاً له في حياة المصطفى مثلُ
كأنما هو والهامات خاضعة
«شدا» إليه جبال التُّهم ترتحلُ(١)
ماذا أصابك يا شعري؟ أراك على
كرسيّ صمتكَ بالأحلام تنشغلُ

---

(١) شدا: جبل شامخ هو أطول جبال تهامة وأرفعها في منطقة الباحة جنوب المملكة.

obeikandl.com

انظر بقلبك، ضوء الفجر منبثق
والأُفْقُ من دنس الظلماء يغتسلُ

هذا ابنُ حنبل نفس المجد راضية
به، وقُصَّاده من علمه نهلوا

ناديتُه ورمال الدهر واقفة
من تحتها، جثت الأيام تُتعَلُ:

يا قامعاً بدع الغاوين في زمن
غدتْ به فُرَصُ التضليل تُهتَبَلُ

يا زاهداً، وعيون المال ترقُبُه
شوقاً، إليه فما تدنو وما تصلُ

يا شامخاً، ورؤوس القوم تُخضعها
أطماعُها واتباعُ الغيّ والزللُ

باتوا وألسنة الركبان تلعنهم
وبتَّ تدعو لك السادات والهَمَلُ

إني أراك ووجه الظلم ممتقعٌ
أمام عزمك والغاوون قد فشلوا

أراك تهفو إلى عدل يُصان به
حق، وتسعى إلى تطبيقه الدَولُ

من أين تطلب عـدلاً في مـخـاصـمـة
ومَنْ يُحكَّم فٍي دعـواكَ مـعـتـزلُ؟

ومن يُحكَّم في دعـواك مـبـتـدع
في دينه من دعـاوى فكره خللُ؟

ومن يُحكَّم في دعـواك منهـجـه
في الحكم متَّـصف بالظلم مـرتجَلُ

قـوم تسـيّـرهم أحـقـادهم، وبهم
تشـقـى قلوب وتأتي منهم العللُ

لقـد قرأنا السجلات التي كتبوا
فيمـا مضى والأفاعيل التي فعلوا

فـمـا رأينا صـلاحـاً في أئمـتـهم
ولا رأيناه في النَّسل الذي نسلوا

جـاؤوا إلينا بعـقـلانيـةٍ سـقطت
عـمادُها سَفْسطاتُ القول والجَدَلُ

فظنَّ أصـحـابُها أنَّ الضـلال هدى
وأن نملتـهم في دربهـا جَـمَلُ

أوَّاه يا ناصـر القـرآن كم خـفـقَتْ
لك القلوب وصـبَّتْ غـيـثَـهـا المقلُ

رأيت سجنك والأبصار شاخصة
إليه، والرّوض في ساحاته خَضِلُ

لو خُيّر الناسُ لاختاروه منزلهم
ما دمتَ فيه، وعاشوا فيه واحتملوا

اني لأعجب من إصرار معتصمٍ
وكنتُ أحسبه للحق يمتثلُ

ماذا أصاب «أبا إسحاق» كنتُ به
مستبشراً، فلماذا استسلم الرجل[1]

أغره من دعاة الشر منطقهم
فأين إيمانُه بالله والمثُلُ؟

إني لأسأله والنفس عاتبة
والقلب ينبتُ فيه الشوك والأسَلُ:

إذا أخذنا بدعوى كل مبتدع
فأين يذهب ما جاءت به الرسلُ؟

ماذا جرى يا أبا إسحاق كيف سرى
في عقلك الحرّ هذا الوهمُ والدَّجَلُ

(١) أبو اسحاق هو الخليفة العباسي المعتصم، وقد عذب في عهده الإمام أحمد بن حنبل وضرب بالسياط ضرباً شديداً، وكان المأمون هو الذي بدأ الفتنة في القول بخلق القرآن، وكان ميالاً إلى الفلسفة.

obeikandl.com

أئن شـدا قـبلك المأمـون فلسـفـة

بهـا أُعِـدّ لأهل البـدعـة النَزُلُ

وباسـمـها انتشـرت في الفكر زندقة

ونوقـشت باسـمـهـا الأقـدار والأزلُ

غـدوت تهـذي بما قـالوا ومـا نشـروا

ولست تعـقل في التـضليل مـا عـقلوا

ألست مـعـتـصـمـاً بالله تعـبـده

وتسـتـعين به إن ضـاقت الحِـيَلُ؟

ألم تجب أمس صوت المستغيثة من

تسلّط الروم حـتى غـرَّدَ الأمَلُ؟

كـتـائب نحـو عـمُّـوريّة انطلقتْ

سـريعـة، ومـزاج الروم مـعـتـدلُ

فـمـا تنفس صـبح في مـرابعـهم

حتى تحـرّك فيـهـا السـهل والجَبَلُ

ولا أتمّ جـبينُ الشـمس طلعـتَـه

إلا وجـيـشُك بالتـحـرير يحـتـفلُ

أجـبـتـهـا يا أبا اسـحـاق مـتـخـذاً

من الحـمـيّـة مـا يحلو به الأجلُ

فكيف تسمع أصواتَ التّقاة ولم
تُجبْ وما اقترفوا ذنباً وما جهلوا؟

أمثل أحمدَ تُدميه السيّاط على
مرأى من الناس، هذا حادث جللُ

أمثل أحمدَ يُلقى بين طائفة
على بصائرها من غيها ظُلَلُ؟

قاضي قضاتك[1] مزهوّ بسلطته
لما رآكَ على الأوباش تتّكلُ

غدا يزيّن في عينيك مذهبه
يا ليت شعري أيزكو عندك الخَطَلُ؟

يا ضيعةَ الحق في قوم تسيّرهم
بطانة السوء ما قالتْ به فعلوا

اذا ارتمى حاكم في حضن رغبته
فحكمه في عيون الناس مبتذَلُ

ما بال أمتنا صارت معلّقة
ما بين ذي ثورة يسطو وينفعلُ

---

(١) هو أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي الذي أشرف بنفسه على تعذيب وضرب ابن حنبل، وقد ولاه المعتصم منصب قاضي القضاة.

obeikandl.com

وبين حاكم قوم يستدير إلى
أعدائه قابلاً في الحكم ما قبلوا
وبين صاحب علم صار مِمْسَحَةً
للظالمين فكم أفتى وكم نَفَلوا
يا حائدينَ عن الإيمان أسكركم
لهو، وأعماكمو عن ديننا الزللُ
سلوا رجال الحديث المخلصين ومن
تحرَّوا الصدق في كل الذي نقلوا
هل جاء في شرعنا معنى يعارضه
عقل سليم من الآفات معتدلُ؟
وهل يُعَدُّ لدينا عالماً ورعاً
من يكتم العلم مختاراً وينعزلُ؟
يا مقلة الشعر ما أمعنتِ في نظر
إلا وحرّكتِ جرحاً كاد يندملُ
هذا «ابن حنبلَ» لم يعلن تمرّده
على الولاة، ولم يُخْدَع بما بذلوا
ولم يداهنْ، ولم يستجد رحمتهم
بل كان كالطود والتعذيب مشتعلُ

obeikandl.com

ولم يَثُــر ثورةً نكراء منتــقــمــاً
لنفســه شــأنَ مَنْ في قلبــه دَغَلُ

لو شــاءها ثورة تجــري الدمــاء بهــا
لما تـراجع عـن تـأيـيـــــده رَجُلُ

لكنه مـــؤمن صـــفّى ســـريرتَه
لله، واتضـــحتْ في ذهنه الســـبُلُ

بـلاؤه كـــــان فـي ذات الإلـه، وفـي
ذات الإله همـــوم الأرض تُحـــتـــملُ

قـد قـالهـا وعـيـون القـوم شـاخصـة
والسـوط في جرحـه الرعّـاف يغتسلُ:

لا لـن أقـول لكم مـا تـرغـبـون ولـن
أغـالط النفس، هـذا شـأنُ مَنْ سَـفِلوا

قـــرآننا ليس مـــخلوقـــاً وإنْ ورمتْ
أنوفكم، ليس مـــثل الوردة البَـــصَلُ

يا قـامع البـدعـة النكراء، طعم فـمي
مـــرّ وذكـرك عندي طعـمـه العـسلُ

إن كنت واجـهت عـقـلانيـة مكثتْ
تثـيـر في الناس أوهامـاً وتفـتـعلُ

فنحن نشقى بعلمانية يدُها
ممدودة، ولها في عصرنا كُتَلُ

تشابه القوم في التضليل واجتمعوا
على التنكّر للإسلام واتصلوا

يا مُبحِراً ورياح البحر هائجة
وزورق الصبر مشدود القوى جَذِلُ

إني أناديك والتأريخ متّزر
بثوبه، وشريط العمر مختزَلُ

أبحرْ إلينا ففي شطآننا سفن
تآكلت، وعليها فرّخ المللُ

ما قادها في خضمّ البحر سائسها
نحو المعالي، ولا حرّاسُها امتثلوا

أَبْحِرْ إلينا لعل الله يمنحنا
من فيض عزمك ما يُمحى به الفشلُ

وابعث إلينا خطاباً منك نرفعه
مع التحية منا للأُلى امتثلوا

شيوخ حق، كتاب الله منهجهم
ما أحدثوا فيه تبديلاً ولا ارتجلوا

obeikandl.com

لولا بصيرتُهم فينا لضيّعنا
في زحمة العمر مَنْ باللذة انشغلوا

وثنّهِ بخطاب منك نبعثه
مع التحفّظ منا للأُلى غفلوا

شيوخ وقت .. أقاموا في مجالسهم
يفاخرون بما نالوا وما أكلوا

هم يصعدون وراء القوم إن صعدوا
وينزلون وراء القوم إن نزلوا

لو حدثتنا بما تلقى عمائمهم
من الخضوع لأغضى طرفَه الخجلُ

حقيقة بعضها يبدو لذي بصر
وبعضها فوقه الأستار تنسدل

يا صامداً وسياط القوم ناهلة
من جسمه ولظى الآلام يشتعلُ

أسلمت ظهرك للحجَّام يقطع من
جراجه أثر السوط الذي فتلوا

وكنتَ تدعو إذا أَذَّتْكَ شفرتُه
بالخير للناس لم تعبأ بما فعلوا

obeikandl.com

جُـبِلْت أنت على عطف ومـرحـمـة
وهم على سَـوْرَةِ الأحـقـاد قـد جُـبلوا

لله جـوهرك الحـرّ الذي عـجـزتْ
أن تسـتـدل إلى أمـثـاله المثُلُ

خـذني إليك إذا لم تأتني فـأنا
أكـاد أخـرج من نفـسي وأنتـقلُ

أكـاد أصنع من ذكـراي طائرة
نـفـاثة وإلى بغـدادَ أرتحلُ

آتي أقـبِّل رأسـاً ظل مـرتفـعـاً
ولم ينكَّس لمن جـاروا ومن قـتلوا

آتي أشمّ أريج المجـد أشـرب من
ينبـوعـه، قـبل أن يمضي بيَ الأجَلُ

هنا رأيت سـتـار الدهر منكشـفـاً
وأبصـرتْ مـقلتي أطيـافَ من رحلوا

وكـادَ يقـفـز قلبي من قـواعـده
لما رآهم كـأن القـوم مـا أفلوا

كـأنهم قـبل يوم واحـد حـملوا
مـتـاعـهم ومـضـوا عنا بما حـملوا

وكـدت أغـرق في وهمي فـأنقـذني
صـــــوت تـدفق منـه المنـطـق المثَلُ

أصـغـيت والصَّـوتُ يدعـوني كـأن على
حـــروفـــه عَـسَـــلاً أو أنّهـــا العـــسلُ

بُنـيَّ وجِّـــهْ إلى الرحـــمن قلبك في
صـدق ودعْ عنك من خـانوا ومن خـتلوا

عشْ في الحـيـاة بقلب الحـرّ يسلم من
حـقـد، ويدعـو إلى الإيمان مَنْ شُـغلوا

obeikandl.com

رسالة إلى هارون الرشيد*

خـذي من القلب مـا تبـغين واعطيني
ومـــتّـــعـــيني بمنثـــور ومـــوزونِ
حـيّـيْتُ ذكـراكِ في شـوق فـلا تقـفي
مكتـــوفـــة يا منى قلبي وحـــيّـــيني
مـــازلتُ أغـرس آمـــالي وأحـــرسـهـــا
ولم تزل شـــفـــة الذكـــرى تناجـــيني
أنام والصـــمتُ مـــربوط على شـفـتي
وذكـــــرياتي بثـــــوب الليل تطويني
من أين أخـــرجُ؟ هـذا الليل يســجنني
في صـمتـه، وعن الأحبـاب يُقصـيني
بوّابة الفـــجـــر لا زالت مـــغلّقـــة
فكيف أفـتـحـهـا والقـيـد يُؤذيني
يا من على وجـهـهـا الميـمـون بارقـة
من الصـفـاء تُريني صـدق تَخَـمِـيني

الرياض: ١٤٠٥/١٢/٢٦هـ

بي لهفة ملكت قلبي وقد بعثتْ
كوامن الحب تسري في شراييني

وهذه البسمة الخضراء تحملني
على الوداد وفي الأحشاء تُؤويني

أسير في موكب الأيّام ملتحفاً
بالحب والأملُ البرّاق يدعوني

أسير والدرب مفروش بروعتها
وعبْق أزهارها الزاكي يُحيّيني

أظل أضحك منها حين ترمقني
بنصف مقلتها والضحك يُبكيني

*** *** ***

سافرتُ والليل أعمى والهمومُ لها
توثُّبٌ وسهام الخوف ترميني

فما مَرَرْتُ على دربي بمرحلة
الا وجدْتُ حُداء الشوق يحدوني

ولا توقّفتُ في سيري على شرف
إلا رأيتُ السهول الخُضْر ترجوني

وأدهش الدّربَ تصميمي فأسلمني
زمامه ودعا الأحجارَ: أنْ ليني

لانت فـأحـسَـسْـتُ أنّ الأرض مفـرَشَـةٌ
من الحـرير وأني غـيـر مـغـبـونِ
حتى غدا الحَزْنُ سهلاً والرمالُ غدتْ
زهراً، ونبع الأمـاني البـيض يسقيني
مــضــيتُ لا الليل تثنيني غــوائله
ولا المخـــــاوفُ والأوهـام تثـنيـني
وســرتُ في روضـةٍ، لا الغيث أخلفهـا
ولا ســمــعتُ بهــا صــوتاً لمأفــونِ
إذا ظمــئْتُ ســقَــتْني من منابعــهــا
وحين يَقْــسُــو عليّ الجـوع تَغْــذوني
يا روضـة المجـد مـا لي عنك مُنصَرف
وكـيف لي ونسـيم المجـد يشـفـيني
بكِ انشــغلتُ وبعض الناس منشــغل
عنّا بتــقــبــيح أقــوال وتحــســينِ
أمـا ترين اشـتيـاقي؟ فـاجـعلي أملي
يخــضــرّ فـيكِ ولا تسـتـغلقي دوني
إني أرى حــائطاً للدهـر يحــجــزني
عــمــا أريد، وأرجــو أن تُعــينيني

يا حائط الدّهر إنْ أخفيت عن نظري
أشخاص قومي فذكراهم تُوافيني

أظل أذكر ماضينا فيملؤني
زَهْواً ورائحة الأمجاد تُذْكيني

وها أنا اليوم تُدنيني مخيّلتي
من الرشيد وأنغامي تُجاريني

إن كان واقع هذا العصر يُؤلمني
فإنّ سالفَ أمجادي يُسلّيني

*** *** ***

أبا الأمين أبا المأمون يحملني
إليك شوقي وبُعْدي عنك يُدنيني

بيني وبينك أعوام مُكَوَّمَةٌ
تظل ساخرة من حائط الصينِ

وبيننا يا أبا المأمون ألسنة
تُغريك بي، وبما تغريك تغريني

ظلّت تزيد سُعار الشكّ في خَلَدَي
حتى رأيتك في صفّ ابن زيدونِ

تقضي لياليَكَ الحمراء منشغلاً
بنشوة الكأس عن ملك وعن دينِ

قـصـائدي يا أبا المأمـون لاهثـة
فـي درب ظـنّـي وظـنّـي لا يُـداريـنـي
لكنهـا لو درتْ مـثلي بماحـملت
من الهـمـوم لفـرّت من دواويني

*** *** ***

أبا الأمين أبا المأمـون مـعـذرة
إذا نكأتُ جـراحـاتي بسكّيني
إني أتيت وعين الشك ترمـقني
وقد صبرت عليها صَبْرَ ذي النونِ
حتى سـمـعتُ نداءً لستُ أعـهـده
وكنتُ أصغي وكان الصوت يأتيني
قـالت زبيـدةُ مـا أنّبتُ عـاطفـتي
إلا على روضـة في صـدر هارونِ
وهبـتـه كل إحـسـاسي وصـرتُ له
ريحـانة دونهـا كل الرياحينِ
غنّيتُه لحن أشـواقي فـما سـمعتْ
أذنَاهُ تلحين أشـواق كـتلحـيني
أجـريتُ نَهّـرَ حناني في رجـولتـه
فـصـار أليَنَ في كـفّي من اللينِ

مـا كـان يَبني على صـدقي مـخـاتلة
ولم يكن بخـسـيس الفـعل يُؤْذيني

مـا كـان يحـرق في نيـران مـخـدعـه
غـيـري، ولا كـان يرضـا أنْ يُجـافـيني

يُفني اشـتـهـاءَ العـذارى صـدقُ عـفّـتـه
ولم يكُنْ في مـدى الأشـواق يَعـدوني

مـا كـان يُغـضي على ذل ومنقـصـة
ولا يـنـام عـلـى بـوّابـة الـدّونِ

ولا يُقـرّ بظلم في مـخـاصـمـة
ولا يهـابُ عـدواً في الميـادينِ

هو الرشـيـد يرى في الحج تبـصـرة
وحين يغـزو ترى إقـدامَ مـيـمـونِ

*** *** ***

هنا جلستُ فـرجلي لا تطاوعني
على الوقـوف، ونار الحـزن تَشـويني

اني رأيتُك بركـاناً يثـور على
أهل الضَّـلالةِ يُزرى بالبـراكينِ

إني رأيتُك ذا عطف ومـرحـمـة
تأسـو جـراح اليـتـامى والمسـاكينِ

فـــهل أصـــدّق أوهامـــا يهـــرّبهـــا
قـــوم يبـــثّـــون وســـواس الشـــياطينِ
كَـسَـــرْتُ عكّاز أوهامي وجـئتُ على
ظهـــر المدى وبكفّي غـــصنُ زيتـــونِ
كـذّبت كل الدعـايات التي اشـتـعلتْ
في عـالم بخـسـيس القـول مـفـتـونِ
كم من يَراع تصبّ السمّ ريشـــتُـــه
كـــأنّه خنجـــر في كفّ مـــجنونِ

*** *** ***

أبا الأمين أبا المأمـــون ذاكـــرتي
مـشـحـونة ويراعي صـار يعـصـيني
كم صـاحب كنتُ مـغـروراً ببـسـمـتـه
يبـيـعني في هوى الدنيـا ويَشـريني
إذا فـــــرحتُ بشـيء لا يُـهـنّـئُـني
وحين أفـقـد شـيـئـاً لا يُعـزّيني
يا صـاحـبي هذه الدنيـا مـودّعـة
ولو ملكْتَ بهـــا أمـــوال قـــارونِ
بنـيـتُ في الـقـلـب لـلإيمـان مملـكة
نشـرتُ فـيـهـا الهـدى والله يحـمـيني

أأذبح الشعر قرباناً وترضية
إني لأنكر تقديم القرابين

في عصرنا يا أبا المأمون طائفة
تُجيد من حولنا رقْصَ الثعابينِ

لها عيون على الأحباب مبصرة
لكنّها لا ترى إجرام رابين

أوّاه لو كنتَ تدري ما دها وطني
وكيف مُدّتْ إلينا كفّ صهيونِ

وكيف صارتْ رؤى لبنانَ غائمة
وكيف شُرّد شعب في فلسطينِ

وكيف لاكتْ ربُىَ الأفعانِ حَسْرتَها
وأغرقَتْ صمتها في نهر جَيْحُونِ

وكيف صار الخلاف المرّ عادتَنا
وصار يضحك منا كل مأفونِ

وكيف صار هُزال القول يصرفنا
عن الأصيل وعن صدق المضامينِ

حتى قصائدنا صارتْ معلّقة
على مشانق أنصاف المجانينِ

إني أغـــار على الإســـلام من بشـــر
يُهـــــــرّبون إلينا فكر «لينينِ»

أغـــار ـ يا وارث الأمـــجـــاد ـ إنّ دمي
يغلي على أمـــتي والجـــرح يُدْمـــيني

ولا تسلني أبا المأمــــون عن بلد
حكّمْتَ في أرضـــهـــا خـــيـــر الموازينِ

بغـــداد يا وارث الأمـــجـــاد أرّقـــهـــا
رعب وباتت على ضـــــعف وتوهينِ

كـــأنّهـــا مـــارأتْ مـــجـــداً ولا أمنتْ
أيامَ عـــهـــدك يا تاج الســـلاطينِ

ســمّيت نقــفــورَ كلبَ الروم حين بَغَى
ونحن من ضعفنا نُغضي لشمشونِ

وننفث الهمّ في ســـيـــجـــارة خَـــبُـــثتْ
ريحـــاً، وننفـــثـــه في ثغـــر غليـــونِ

كـــأننا من قـــضـــايانا على حُـــمُـــر
مـــذعـــورة أو على مـــثل الطواحينِ

وكـــيف ينجح قـــوم في تناحـــرهم
عنوانُ ذل ويا شـــــرّ العناوينِ

*** *** ***

أبـا الأمـين أبـا المـأمـــــــون، كلُّ يـدٍ
شــلاّءَ في عـصـرنا صـارت تُبـاريني

أنزلتُ رَحْلي بأرض الذل فـاندفـعتْ
إلـيّ أســـــواط أهـل الذل تُصلـيني

أرى وجـوهاً وأجـســامـاً مـرفّـهـة
ولا أرى فـــــارســـــاً بـين الملايـين

إذا بـنـى المـرء فـــــوق الـرمل منـزلَـه
فـــلا يلومنّ إلا عـــقل مـــجنونِ

يا راكـبين حـصـان الوهم لن تصلوا
إلا إلـى نفق فـي الـوَحْل مـــدفـــونِ

ولـن تذوقــوا من الدنيـــا حـــلاوتَهـــا
إلا بتـــــضـليل أفكار وتهـــــجينِ

قـد يُنْجب العـبـدُ حـرّاً يسـتـقـيم على
نهج الصـــلاح ويُحـــيي رِبْقَـــةَ الدينِ

*** *** ***

أبـا الأمين، أجـــبـني إن بي شـــغـــفـــاً
إلـى حـــديث من الماضي يُواســـيـني

قال الرشيد وقد وارى ابتسامتَه
الله يعلمني والله يجزيني

إنّ أسرف القوم في التشويه وانتهجوا
درْبَ الأكاذيب فالرحمنُ يكفيني

لو كان في الناس إصغاء على رَشَد
ما أقسم الله بالزيتون والتينِ

قد يسمع المرء أقوالاً ملفّقة
تغدو هباءً على أرض البراهينِ

obeikandl.com

رسالة إلى صلاح الدين*

أسرج الصَّبْرَ على الباغي خيولا
تطرب الميدان ركضاً وصهيلا

واقتحم أسوار خوفٍ شيَّدتْها
يد أعدائك كي تبقى ذليلا

سُلَّ من فجرك سيفاً عربياً
واتخذ في جبل الصمت سبيلا

وإذا ما سارت الأحداث شبراً
فاجعل السير إلى الأحداث ميلا

وإذا واجهتَ في الدرب جبالاً
شامخاتٍ فتخيَّلها سهولاً

أيُّها الشاتم وجه الليل أوقدْ
شمعةً في الدرب واستصحبْ دليلا

خذ يدي وارحل إلى الماضي فإني
لم أزل أُتعب أيامي رحيلا

---

* الرياض: ١٤٠٩/٤/١٠هـ.

وإذا مـــا جـــئتَ حطّينَ فـــدعْني

أُســرج الشــوقَ إلى الماضي خـيــولا

وانتظرني ريثـمـا أقـضي حـقـوقـاً

لفـــؤادٍ يحـــمل الهمَّ الثـــقـــيـــلا

وأنادي فـــارســـاً مـــازال يحـــمي

حـــــوزة الدين، ويـأبى أنْ يميـــــلا

جـــــعل السنّة للناس طريقـــــاً

ومـــحـــا البـــدعـــة منهـــا والحلولا

ضـــرب البـــحـــر بســـوطٍ من إباءٍ

فـــغـــدا البـــحـــر له رَهْواً ذَلولا

يا صـــلاح الدين مـــا جـــئتَ إلينا

خـــامل الذكـــر ولا جـــئتَ ضـئـيـلا

جـــئت والرمـضـــاء تشـــوي كلَّ وجـــهٍ

وأرى وجـــهك وضَّـــاءً جـــمـــيـــلا

بين قلبـــينا جـــســـور من إخـــاءٍ

مـــدَّها الإســـلام فـــرعـــاً وأصـــولا

لم أزل أبصـــر في كـــفك ســـيـــفـــاً

صـــارمـــاً مـــا زال للكفـــر مُـــزيلا

لستَ بالظالم في القتل ولكنْ
لم تشأ أن يمكث الباغي نَزيلا

ما قتلتَ السَّهْرَوَرْدِيَّ، ولكنْ
عَبَثُ الأفكار أرداه قتيلا

رُبَّ كفرٍ جاءنا من فيلسوفٍ
يطلق الدَّعوى ولا يُعطي دليلا

يُفسد الأذهان يُلقي في مداها
حجر الشكِّ فتزداد ذهولا

يا صلاح الدين ما جانبتَ حقاً
حين طهَّرتَ قلوباً وعقولا

لم تدعْ للمذهبيَّاتِ مجالاً
كم أذاقتنا من الذلِّ شكولا

يا صلاح الدين ما جئتكَ إلا
وأنا أكره أنْ أنوي القفولا

كيف أبقى في كيانٍ عربيٍ
لم يزل يقرع للذلِّ الطبولا

لم يزل يمنح للغربِ ولاءً
ويرى للشرق في النفس قبولا

في بلادي ألف بستانٍ نراها
ونرى من حولها ظلاً ظليلا

غير أنا ما رأينا في رباها
بلبلاً يشدو ولم نسمع هديلا

وقف المركب والربَّان أمسى
يُتْبِعُ الأمواج خوفاً وذهولا

واشتكى الشاطئ من جزرٍ ومدٍّ
أتعب الرمل صعوداً ونزولا

بلغ الأعداءُ منا ما أرادوا
ومشوا في أرضنا عرضاً وطولا

سمّموا الأفكار حتى صار فينا
مبدعاً من ينشر الفكر الدَّخيلا

جعلوا للفنِّ ميزاناً وقالوا
لا نرى للدين في الفنِّ سبيلا

عزفوا عن شعر حسَّانٍ وكعبٍ
ورأوا «إليوتَ» رمزاً و«أخيْلا»

أشعلوا ألف فتيلٍ للمآسي
ليت قومي أطفؤوا منها فتيلا

لا تسلني عن بني قـومي فـفـيـهم
يشـرب «الجَـدُّ بن قـيسٍ» سلسـبـيـلا

ويـرى فـــيـــــهم بـلالٌ ألفَ عـينٍ
ترسـل النـظرة لـلكبّـــر دليـــلا

لا تسلني.. يا صـــلاح الدين، قـومي
حـبـسـوا النهـر فلم يسق الحـقـولا

شـــربوا الكأس فلمـــا أفـــرغـــوها
جـعلوا الذئب على المرعى وكـيـلا

كـان في أيديهم السـيفُ صـقـيـلاً
فـغـدا ملمس أيديهم صـقـيـلا

يحلُم التـــأريخ أن يـأتـي إليـــهم
ثم يـأبى حين يـأتـي أن يُطيـــلا

أنفسٌ عـشَّـشت الأحـقـاد فـيـهـا
وعـــيـــون لا ترى إلا الحـــجـــولا

دولٌ شـــتَّى وأذهـانٌ حَـــيَـــارى
وقـبـيـلٌ يُتّـبع اللَّومَ قـبـيـلا

في حـمـاها أصـبح الشـهم ذليـلاً
وغـدتْ في ظلِّهـا النَّملةُ فـيـلا

لا تسلني يا صـــــلاح الدين، لكنْ
ســائل الحــسـرة والقلبَ العليــلا

ســائل الحـــيـــرةَ في نظرة طفلٍ
واســأل الحــسـرةَ والطرف الكليــلا

ســائل الأحــزان في وجــدان سلمى
وسل الدمع الذي يجــري ســيــولا

ســائل الأحـجـار في حـيـفـا ويافـا
وسل القـــدس المعنَّى والخليـــلا

لا تسلني، فـــأنا أصـــرف وجـــهي
خــجــلاً منك، ومــازلتُ خَـجُـولا

يا صـــلاح الدين مـــا هوَّلتُ أمـــراً
في الذي قلت ولا زوَّرتُ قـــيـــلا

أنا مـن أحـــمل في قلبي وفـــاءً
لبـــلادي أنا مـن أهَوى الأصـــولا

لا تسلْ عني فـصـحـراء جـراحي
لم أجـد فـيـهـا مـبـيـتـاً أو مـقـيـلا

ســرتُ فـيـهـا وأنا أســأل نفـسي
كـيف ألقى شـربةً تشـفي الغليـلا

أوَ مـــا تعلم أن الليل أمـــسى
في عـيـون القـوم فـجـراً وحـقـولا؟

أو مـــا تقـــرأ في دفـتـــر حـــزني
قـصـة المجـد الذي أضـحى طلولا؟

أيُّهـــا القـــادم والليل لبـــاسٌ
وضـيـــاء البـدر يزداد شـمـــولا

جـــرِّد الســـيف وقـــدِّمـــه إلينا
قـــد نســـينا لمعـــاناً وصليـــلا

وتعلَّمْنا من القـــول صنوفـــاً
وتحـــدَّثْنا عن المجـــد طويلا

ورفـعنا وخـفـضنا وجـمـعنا
وطرحنا ورسـمنا المسـتطيـلا

وبنينا ألف قـصـرٍ من فـراغٍ
وبلغنا بالأمـاني المسـتـحـيـلا

كم سـمـعنا صـرخـة من ثغـر طفلٍ
حـقُّـهـا أن توقظ الحـرَّ النبـيـلا

فـمنحناها وجـومـاً ووقـفنا
نُتْبع الأحداثَ إحساساً قـتـيلا

يا صـلاح الدين أعطيـتك سـمـعـاً
يتـــمنَّى منذ دهـرٍ أن تقـــولا

قُلْ فـإن القلب أضـحى باشـتـيـاقي
روضـــة ترجـــو من الغـيث الهُطُولا

وهنا جـــاء إليَّ الصـــوتُ فـخـمـاً
عـــربيَّ اللفظ مـــوزوناً أصـــيـــلا:

أيهـــا الشـــاعـــر كم يُثلج صـــدري
أنْ أرى مـــثلك لا يرضـــا نكولا

إنمـا يمنـحـك المجـــــدُ مـكـانـاً
في الذُّرَى منه إذا كنتَ مَـشـيـلا

لي سـؤالٌ واحـدٌ ألقـيـه فـيكم
وجـــوابي أن أرى فـعـــلاً جليـــلاً

كـيف ترجـو أمـة عـزاً ونصـراً
حين تنسى الله أو تعـصى الرَّسـولا